تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { فاستجاب لهم ربهم } أي فأجابهم ربهم كما قال الشاعر : .

(وداع دعا : يا من يجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب) .

قال سعيد بن منصور : حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سلمة رجل من آل أم سلمة قال : قالت أم سلمة : [يا رسول ا لا نسمع ا ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل ا تعالى : { فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى } إلى آخر الاية] وقالت الأنصار : هي أول ظعينة قدمت علينا وقد رواه الحاكم في مستدركه من حديث سفيان بن عيينة ثم قال : صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة قالت : آخر آية نزلت هذه الاية { فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض } إلى آخرها رواه ابن مردويه ومعنى الاية أن المؤمنين ذوي الألباب لما سألوا ما سألوا مما تقدم ذكره فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك بفاء التعقيب كما قال تعالى : { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون } وقوله تعالى : { أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى } هذا تفسير للإجابة أي قال لهم مجيبا لهم أنه لا يضيع عمل عامل لديه بل يوفى كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى وقوله { بعضكم من بعض } أي جميعكم في ثوابي سواء { فالذين هاجروا } أي تركوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب والإخوان والخلان والجيران { وأخرجوا من ديارهم } أي ضايقهم المشركون بالأذى حتى ألجؤوهم إلى الخروج من بين أظهرهم ولهذا قال { وأوذوا في سبيلي } أي إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا با وحده كما قال تعالى : { يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا با ربكم } وقال تعالى : { وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا با العزيز الحميد } وقوله تعالى : { وقاتلوا وقتلوا } وهذا أعلى المقامات أن يقاتل في سبيل ا فيعقر جواده ويعفر وجهه بدمه وترابه وقد ثبت في الصحيحين [أن رجلا قال : يا رسول ا أرأيت إن قتلت في سبيل ا صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر أيكفر ا عني خطاياي ؟ قال نعم ثم قال : كيف قلت ؟ فأعاد عليه ما قال فقال : نعم إلا الدين قاله لي جبريل آنفا] ولهذا قال تعالى : { لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار } أي تجري في خلالها الأنهار من أنواع المشارب من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله { ثوابا من عند ا } أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلا كثيرا كما قال الشاعر : .

(إن يعذب يكن غراما وإن يعـ ... ط جزيلا فإنه لا يبالي) .

وقوله تعالى : { وا عنده حسن الثواب } أي عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحا قال ابن أبي حاتم : ذكر عن دحيم بن إبراهيم قال : قال الوليد بن مسلم أخبرني حريز بن عثمان أن شداد بن أوس كان يقول : يا أيها الناس لا تتهموا ا في قضائه فإنه لا يبغي على مؤمن فإذا أنزل بأحدكم شي مما يحب فليحمد ا وإذا أنزل به شي مما يكره فليصبر وليحتسب فإن ا عنده حسن الثواب